نفوس عراقية ثائرة

الأستاذ حمدي الحسيني

١ — الشيخ عبد المحسن الكاظمي — طيب الله ثراه — شاعر عربي استقلالي . نشأ في بغداد فاشتغل فيها بالتجارة ثم بالزراعة ، فلم ينجح في كلا العملين فتوجه نحو الأدب وكل ميسر لما خلق له . فطالع كتب الأدب وحفظ من الشعر القديم اثني عشر ألف بيت فعرف فضله ونبه ذكره . وأخذ يفكر في العرب والمسلمين ، وما هم عليه من الخضوع والذل ، حتى قدم السيد جمال الدين الأفغاني إلى بغداد منفيا من حكومة إيران فالتقى به الكاظمي وعقدت الصداقة والمبادئ بين قلبيهما . وما كاد الأفغاني ينفق من بغداد حتى شعر الكاظمي بأن الخطر يقرب منه لأنه صديق الأفغاني ولأنه يناضل الحكومة العثمانية على نور القضية العربية . فاضطر أن يغادر بغداد ويتنقل في البلاد الإسلامية حتى ألقى عصا تسياره في مصر ، وجعلها دار إقامته ، ولامس قضيتها الوطنية بزعامة سعد ملامسة قوية حارة ، ونظم فيها القصائد الكثيرة العامرة ، ولم يخرج منها إلا إلى بعض الأقطار العربية المجاورة . وقد زار فلسطين وشرق الأردن بعد الحرب العالمية الأولى ، فأقام بيننا في القدس مدة قصيرة رأينا خلالها من أدبه الجم ما ملأ النفوس إعجابا ، ومن عواطفه الوطنية ما أقض القلوب سرورا وطربا . مما دعا العرب في فلسطين أن يقيموا له بعد وفاته حفلة تأبين كبيرة في مدينة يافا دعوا إليها عدداً من أهل الفضل في البلاد العربية . وقد تكلم في هذه الحفلة نخبة من عارفي فضل الكاظمي والمعجبين بشعره ووطنيته وتضحيته ، منهم المرحومان إبراهيم عبد القادر المازني وإسعاف النشاشيبي والأستاذان أسعد شاهر وعجاج نويهض وكاتب هذه السطور وغيرهم

فالكاظمي يعد من شعراء القومية العربية والقضية الاستقلالية . وأما النبع الذي يفيض على شعره الوطني بالقوة فهو المبدأ القويم الراسخ . والكاظمي كان منفرداً بين شعراء العرب والمعاصرين في القدرة على نظم المطولات ارتجالا . وأما أخلاقه الشخصية فالفضيلة بكل معانيها ولعل الإباء وعفة النفس هي أقوى أخلاقه وهي من أقوى أسباب نوسه وشقائه في حياته . ولنسمع الآن الكاظمي يخاطب حرية العرب السليبة ويتودد لهذه الحرية حتى تعود إلى البلاد العربية المشوقة لجمال طلعتها

يا حبذا يوم الجمال وحبذا ... يوم الوصال وأجره المكسوب
يوم يعود لنا به استقلالنا ... ويرد فيه حقنا المغصوب
حتام نحتمل الذلة طوعا ... ولنا بآفاق البلاد وثوب

ولنسمع هذه القطعة القوية من شعره :

سيروا بذئب عن الحمى ... وذروا عنه المستبدا
نحمي حمى أوطاننا ... ونصونها غوراً ونجدا
وذروا عنها من عدا ... ظلما عليها أو تعدى
أيروق لي عيش أرى ... فيه الكريم الحر عبدا
وإذا نظرت إلى الهوا ... ن رأيت طعم الموت شهدا
إن لم تكن نجدي الحيا ... ة بعزها فالموت أجدى

٢ — السيد محمد رضا الشبيبي ، شاعر عراقي بارز الشخصية ، وقطب من أقطاب الحركة الفكرية والنهضة الوطنية في العراق . وهو فوق هذا ذو ثقافة إسلامية عالية ومقام اجتماعي رفيع . قرأنا طائفة من شعره فرأينا القوة تتدفق والوطنية تتألق

خسرت صفقتكم في معشر ... شروا العار ، وباعوا الوطنا
ضيعوه ولو اعتاضوا به ... هذه الدنيا ، لقلت ثمنا
يا عبيد المال خير منكم ... جهلاء يعبدون الوثنا
إنني ذاك العراقي الذي ... ذكر الشام وناجى اليمنا
إنني أعتد نجداً روضتي ... وأرى جنة عدن ، عدنا

وقد رأينا روح الوحدة العربية تتنفس في قصائد الشبيبي مما دلنا على أنه مؤمن بهذه الوحدة عامل لها

ببغداد أشتاق الشآم وربها أنا ... إلى الكرخ من بغداد جم التشوق
فما أنا في أرض الشآم غشيتم ... ولا أنا في أرض العراق بمعرق
هما وطن فرد ، وقد فرقوهما ... رمى الله بالتشتيت شمل الفرق

* * *

٣ — السيد خيري الهنداوي ، شاعر عراقي ، اتصل في نشأته

الأولى بالزهاوى والرصافى فى بغداد وعاشرهما مدة طويلة فأفادته تلك المعاشرة فى تفكيره وأسلوبه الشعرى ، وهدته إلى أقوم الطرق وأصح الوسائل لخدمة القضية العربية . وقد سجنه الانجليز مرارا وضيقوا عليه الخناق حتى زال حكمهم فاشتغل بالوظائف فى العراق . وقد نفى مع من نفى على أثر الثورة العراقية الكبرى . وقد رأيت فيما قرأته له من شعر ، روح الرصافى مشرقة بين السطور أيما إشراق :

مرحبا بالخطوب إن هى كانت ... سببا موصلا إلينا الحقوقا
وأحب الخطوب عندى حبس ... فيه نستطيع بالكرام اللحوقا
لا أبالى إذا خدمت بلادى ... أأسيرا رأيتنى أم طليقا
ويك لا أرتضى الحياة بذل ... قم فزق إهابها تمزيقا
وأذن لى فى الرافدين حميا ال ... حرب صرفا ، وكسر الإريقا
إن موتا يكون فى ساحة الهـ ... ـيجا أجدر به أن يروقا

* * *

٤ — الشيخ كاظم الدجيلى شاعر عراق، واسع الاطلاع كثير المعرفة ؛ اشتغل فى بغداد بالصحافة قبل الحرب العالمية الأولى . وهو يحب الرحلة والتنقل ، ويميل إلى التحقيق العلمى . قد رأينا فيما قرأناه له من شعر ، قوة نزوع للحياة وشدة اندفاع للحرية ، وهو يعتقد بأن لابد للحق من قوة تعضده وإلا فهو ضائع

حديثك عن غير القوى حرام ... وسعيك فى نصر الضعيف أثام
تحدث بمجد الأقوياء ففيهمو ... قعود بأحكام الورى وقيام
إذا كنت بين العالمين أخا قوى ... رعتك عيون الناس حيث تنام
حمى الغاب بأس الليث من كل طارق ... ولم ينج من فتك البزاة حمام
يقولون إن الحق من فوق قوة ... وما الحق إلا مدفع وحسام
إلى العز فاركبها معودة السرى ... عليها ركوب الصافنين حرام
ولا تك عن نيل العلاء بقاعد ... وفيك إلى نيل العلاء قيام
ولا ترض ذل الخاملين وعيشهم ... فإن حياة الخاملين حمام

* * *

٥ — فى بدنا السيد أحمد الصافى النجفى — متعه الله بالصحة والعافية — ديوانان ، الأمواج ، وأشعة ملونة . قرأينا للصافى فى هذين الديوانين نفسا كبيرة ، ثائرة ، نزاعة إلى مثلها العليا التى يحيا الصافى من أجلها ويموت فى سبيلها ؛ وهى الحق والحرية والرحمة . ونحن نعتقد بأنه مخلص لهذه المبادئ ، وأنه جاد فى التقرب منها مجاهد فى سبيل تحقيقها . وكيف لا يكون الصافى مخلصا لهذه المبادئ وهى أهداف لأقوى غرائزه ووسائل لإشباع أعرق رغباته . وكيف لا يكون للصافى هذا المقام الرفيع فى قومه ، وأهدافه مشتركة بينه وبين العرب فى سائر بلاد العرب ، بل مشتركة بينه وبين الإنسانية كافة. واستهداف الصافى للحق والحرية والرحمة يجعله فى نظرنا ليس شاعرا عربيا فحسب ، بل شاعرا إنسانيا يشترك مع جميع الناس فى نصرة الحق المهضوم ، واسترداد الحرية المسلوبة ، وإرسال الرحمة نسيما عليلا معطرا ينعش نفوس البائسين . ومع كل هذا نرى فى نفسية الصافى تعقدا وفى سلوكه شذوذا . ونعتقد أن سبب هذا التعقد وهذا الشذوذ ، ما قست به الطبيعة عليه من مرض وما اشتدت به البيئة عليه من فقر

الفلاح — على الإطلاق — صديق الصافى ، تراه يرفق به ويتوجع له مما لحق به من أذى الظلم الاجتماعى الذى يباعد بينه وبين سعادة الحياة وهناءة العيش ، على رغم ما يبذل فى سبيل الحياة من عرق جبين وعضلات ساعد . ولكنه لا يقف منه عند حد التوجع ، بل يدفعه إلى استنكار الظلم ودفع الحيف

حتام يا هذا لسانك ألكن ... وإلى م ألسنة الطغاة فصاح
كل الجناح على الضعيف إذا اعتدى ... أما القوى فما عليه جناح
ياريف إن كتاب بؤسك مشكل ... يعيا بحل رموزه الشراح
أطيار روضك غالها باز الردى ... وعدا على أسماكك الملاح
الورد قد خنقته أشواك الربى ... فالما . وفر البلبل الصداح
ياريف مالك شرب أهلك آسن ... رنق ، وشرب ولاة أمرك راح

وإذا كان الصافى صديق الفلاح فى كل أرض فهو صديق الشعب فى كل وطن ، فاسمعه الآن يخاطب الشعب المظلوم

لاتشك للعدل ضيما واشكه لظلما ... فالعدل أصبح فى الدنيا بلا أذن
لم يعطك العدل شيئا وهو ذو منن ... والسيف يعطيك ماتهوى بلا منن
لاتنتظر أن يرد العدل عنك أذى ... فالحق فى محبس القانون والسنن
ضعف الخراف دعا ذئب الفلاة لها ... فالذئب للضعف ، ليث الضعف لم يكن